

قضيت الجزء الأكبر من الخمس وعشرين سنة الماضية في الوعظ إلى مؤمنين مجتمعين في المنازل (أي أناس يعرفون أن الكنيسة يمكن أن تكون غرفة معيشة ممتلئة بالمؤمنين). أيضاً قضيت جزء كبير من هذا الوقت في عقد مؤتمرات تدور حول أعماق الحياة المسيحية. ونتيجة لهاتين الخدمتين، تشرفت بمقابلة أفضل المؤمنين في عصرنا هذا، وبكلمة "أفضل" أعني أناس لديهم قلوب ملتتهبة لمعرفة المسيح بصورة أعمق وعلى استعداد للاعتراف بنقائصهم الروحية أثناء سيرهم مع المسيح. فأنا أخدم من يبحثون ويطلبون، أي المساكين بالروح.

كان هناك علمانيين ورعاة وقسوس سابقين ومبشرين ومرسلين وأناس من إرساليات حالية وأناس من إرساليات كانت في الماضي؛ كل هؤلاء كانوا من بين الذين استمعوا إلى عظات حول أعماق الحياة المسيحية. كانوا جميعهم عطاشي لكلمة الحياة بالرغم من معرفتهم بلا شك بالأمور التي تؤهلهم لأن يصبحوا مؤمنين صالحين. ومعظم هؤلاء المؤمنين سيخبرونك بأنهم جربوا كل هذه الأمور، فمنهم القائد أو المساعد في معظم الحركات الطائفية أو لا طائفية التي عرفت على مستوى الدول التي تتحدث الإنجليزية. بعضهم ينتمي إلى حركات رائعة وبعضهم إلى أسوء الحركات التي ظهرت خلال المائة عام الماضية. كانت كل الطوائف ممثلة وأيضاً كل المدارس اللاهوتية المتحفظة والمتحررة في البلاد، ولكن كان هناك شيئاً واحداً مشتركاً فيما بينهم، فبالرغم من علمهم بمختلف أنواع "سر الحياة المسيحية"، إلا أنها لم ينجح في حياة أي منهم أي كان نوع هذا السر. نعم، هناك بعض المؤمنين الذين تنجح معهم أحد هذه النماذج ولكنها لم تنجح مع هذه المجموعة من الناس.

ما الذي أرمي إليه؟ إذا كانت الحياة المسيحية ناجحة وفعالة بالنسبة لك وإن كان "السر" الذي تعلمته عاملاً في حياتك، فأنت إذن لست في حاجة لهذا الكتاب. فإذا كان ما تعلمته مفيد وفعال بالنسبة لك، فيجب أن تسجد خاشعاً شاكراً لله، فأنت تنتمي إلى عدد كبير من المؤمنين، وعليك أن تتمسك بما هو فعال وناجح. ولكن إن كنت قد جربت هذه "الأسرار" المؤدية إلى حياة مسيحية منتصرة ولكن أي منها لم ينجح، فربما كان هذا الكتاب هو بداية مغامرة جديدة بالنسبة لك.

محببتنا للمسيح تتحدد بناء على إذا ما كنا نطلبه هو أم نطلب عطاياه.

عجز النماذج الموجودة

ماذا تعلمت عن سر الحياة المسيحية؟ لقد سألت هذا السؤال آلاف المرات في كل البلاد التي تتحدث الإنجليزية وفي الكنائس التقليدية وفي الكنائس المحلية وفي المؤتمرات. "ماذا يجب أن تفعل حتى تكون مسيحي صالح؟ ماذا تعلمت عن سر الحياة المسيحية؟"

هل يمكنك تخمين بعض الإجابات التي تلقيتها؟ إنها الأشياء التي تُقدم للمؤمن الجديد على أنها أمور لا جدال فيها. والحقيقية هي أنها أمور متعارف عليها ولا جدال فيها بالنسبة لكل المؤمنين. دعوني أذكر البعض منها بحسب ترتيبها:

- الصلاة وقراءة الكتاب المقدس
- الذهاب للكنيسة
- الشهادة
- (التكلم بالسنة؟)
- العشور

هل تبدو هذه الأمور مألوفة؟ أنها الأكثر شيوعاً ولكن إليك المزيد:

- اخدم الرب
- اذهب إلى مدارس الأحد
- تعلم الحق الكتابي
- تعلم الحياة المغيرة
- اذهب إلى مدرسة مسيحية
- اذهب إلى مدرسة كتاب مقدس
- التحق بكلية اللاهوت
- تعلم حياة الإيمان العامل
- تعلم الحياة التي تركز على الإيمان

وهناك المزيد: الحرب الروحية، الخضوع والسلطة، المعجزات، العجائب، طاعة النبوات، طلب المواهب، تغطية الرأس، الاحتشام في الملبس، التزمت الأخلاقي، (وحتى) النباتية، أن تدخل في عهد، والأكثر شيوعاً "انضم إلى مجموعتنا لأننا ما تبحث عنه."

فإن بدا لك ما سبق وكأنه متطرف إلى حد ما، فأرجو أن تعلم أن هناك الكثير والمزيد من هذه الأمور المتطرفة. ما عليك إلا أن تلقي بنظرة جديدة لما تُعلم به أكثر الحركات احتراماً في المجتمعات المسيحية أو الطوائف باختلاف أنواعها وأنا واثق من أنك سترتعب عندما تعرف "سر الحياة المسيحية" الخاص بكل منها. فهم عادة يخبرونك بأنه يجب عليك أن تؤمن بعقيدة معينة لأن هذه العقيدة "هامية جداً." وبعض الطوائف الأخرى ستخبرك بأن الرب سيأتي ثانية بطريقة معينة "ومن الأفضل لك أن تؤمن بهذه الطريقة أيها الأخ"، وإلا بقيت وحدك على الأرض متى جاء المسيح لأنك لم تؤمن بأنه سيأتي بهذه الطريقة. وهكذا يتكرر الأمر.

وبالطبع لا يجب أن أنسى الطائفة المعمدانية (فأنا واحد منها). ولا زلت أسمع الوعاظ يربون الناس مهددين إياهم بكل أنواع الأوبئة التي قد تحل عليهم إن لم "!"

على أية حال، إن كان أحد هذه الأسرار "نافعاً وناجحاً بالنسبة لك، فعليك أن تتمسك به. ولكن أي من هذه الأسرار لم ينجح معي كما أنه لم ينجح مع أي من هؤلاء الناس الذين أخدمهم.

في البيوت وعلى موائد الغداء وعبر التليفون ومن خلال الخطابات وفي المؤتمرات، استمعت لما قد يبدو أنه عدد لا نهائي من المؤمنين الذين يشكون أنهم "جربوا كل شيء، ولكن شيئاً لم ينجح." وبعضهم يحكي اختباره بدموع وقلوب كسيرة. إن المؤمنين في هذا العصر كما في كل العصور وعلى مدار السبعة عشر قرناً الماضية غير مؤهلين للإجابة على هذا السؤال البسيط: كيف يمكن أن اعرف يسوع المسيح بطريقة ذاتية وشخصية وبعمر وبصفة يومية؟

قد يرغب البعض منا في إضافة "ولا تتصحني بقراءة الكتاب المقدس والصلاة، فأنا أقرأ الكتاب المقدس أكثر مما تظن وأصلي فترات أطول مما تعتقد. أنا أريد أن أعرف المسيح."

أنا لا أستطيع أن أخبرك ما هو سر الحياة المسيحية ولكني سأخبرك بالأتي: بالنسبة لعدد كبير منا، لا تفي القائمة التي سبق ذكرها بالغرض وبالنسبة لنا تكمن الإجابة في مكان آخر. ومن خلال هذا الكتاب سأقدم لك منظور جديد تماماً تستطيع من خلاله أن ترى الحياة المسيحية، كما سأقدم لك طرق عملية يستطيع من خلالها أن تختبر إلهك. ولكني دعني أخبرك على عجلة بأن ما أنا على وشك أن أخبرك به لن يكون علاجاً للكثير من الألم والمعاناة في الحياة المسيحية وذلك لأن الألم والمعاناة هما جزء لا غنى عنه في الحياة المسيحية.

دعوني أرجع مرة أخرى لموضوعنا، فأنا لا أؤمن أن أي من بنود القائمة التي سبق ذكرها له علاقة وطيدة بالسؤال كيف أحيا الحياة المسيحية، وذلك لأنها تحتوي على خطأ توارثناه عبر الأجيال السالفة.

ما هو يا ترى هذا الخطأ؟ إن كل بند من بنود القائمة التي سبق ذكرها يؤكد أنه من الممكن أن يعيش الإنسان الحياة المسيحية. ولكن هل يستطيع أي منا أن يعيش الحياة المسيحية؟ الإجابة هي لا وألف لا... لا تفقد الوعي، واصل القراءة. إن كان هذا الرد حقيقي بالنسبة له فهذا يعني أن كل، وأكرر.. كل ما تعلمناه عن هذه "الأسرار" غير فعال.

ليس الغرض من هذا الكتاب تقديم العلاج الشامل للوضع الذي تعيش فيه حتى تستطيع أن تعيش الحياة المسيحية وتفتح على طرق جديدة تستطيع من خلالها أن تختبر الرب. دعني أخبرك بهذه الحقيقة البسيطة: لا أحد يستطيع أن يعيش الحياة المسيحية. فقط تعلم هذه الحقيقة واعلم أن الحرية قريبة جداً.

هذا الكتاب هو للمؤمنين الذين لا يستطيعون أن يعيشوا الحياة المسيحية. لقد كتبت هذا الكتاب لمن فشلوا (وبكلمات أخرى عزيزي القارئ.. هذا الكتاب هو لنا جميعاً، كما أنه أيضاً موجه لبعض الذين برعوا في خداع الناس).

إن القائمة التي سبق ذكرها تُسلم بأن الإنسان يستطيع أن يعيش الحياة المسيحية، ولاحظ أيضاً أن الضميران "أنا وأنت" هما محور ومركز كل بند فيها. هذا هو الجبل الذي أنت واقف عليه اليوم ولنطلق عليه "جبل التمرکز حول الأنا" وعلى هذا الجبل تعيش الحياة المسيحية. والآن سنحاول

نقلك من على هذا الجبل. وفي الصفحات التالية من الكتاب، لن ننقل فقط من على الجبل ولكننا سنذهب أيضاً إلى جبل مختلف ذا موقع متميز. هذا هو الغرض من الكتاب أن يجعلك تنتقل من على الجبل حيث كل هذه القوائم والبنود إلى الجبل الذي يجب أن تكون عليه... وعلى هذا الجبل... دعونا ننتظر لنرى ما سيحدث.

وهناك غرض آخر من هذا الكتاب، فمن خلاله ستكتشف "سر الحياة المسيحية" كما عرفه وعاشه شخصان على قدر كبير من الأهمية! (والحقيقة أنهما كانا أول شخصين مسيحيين مؤمنين). لقد سجلت هذه العبارة بدون تحفظ أو مبالغة.

وإذ نراجع عن اعتبار العصور والشهادة والذهاب إلى الكنيسة وحتى الصلاة وقراءة كلمة الله "سر الحياة المسيحية"، دعونا نبدأ بحثنا عن أشياء أسمى وذلك بأن نسأل أنفسنا هذا السؤال البسيط:

كيف عاش المسيحي الأول الحياة المسيحية؟ هل يقدر أن يعلمنا أشياء لا نعرفها؟ وهل يعرف أشياء قد نكون تجاهلناها؟ وهذا ما سنسأله أيضاً للمسيحي الثاني.

بعد ذلك، علينا أن نسأل سؤال على نفس القدر من الأهمية وهو "هل أنا مُطالب أن أعيش الحياة المسيحية بطريقة تختلف عن تلك التي عاش بها المسيحي الأول الحياة المسيحية؟" بمعنى، هل كان للمسيحي الأول مسلك داخلي أو طريقة عاش بها الحياة المسيحية ليست لنا ولا يمكن أن نحصل عليها؟ هل نحن مؤمنون من الطبقة الثانية بحيث يجب علينا أن نعيش الحياة المسيحية عن طريق استخدام مجموعة من القوانين مختلفة عن تلك التي عاشها بها المسيحي الأول؟

قد تكون غافل عن هذه الحقيقة ولكنها الشيء الذي تعلمته طوال سنين حياتك! فعلى مر العصور، تعلمنا أن المسيحي الأول تمتع بامتيازات لا يمكن أن تكون لنا. لقد عاش الحياة المسيحية بطريقة، ولكن علينا أن نعيش الحياة المسيحية بطريقة أخرى، كما أن قائمة "كيف تعيش الحياة المسيحية" الخاصة به مختلفة عن القائمة الخاصة بك.

كيف تشعر حيال هذا الأمر؟ دعني أخبرك بما أشعر أنا به. فإن صحت الحقيقة أنه يجب علي أن أعيش الحياة المسيحية بطريقة تختلف عن الطريقة التي عاشها بها المسيحي الأول، فأنا أشعر بأنني قد خُذت.

ولكي نبدأ بحثنا، دعونا نبحث عن هذا المؤمن الأول وعندما نجد دعونا نسأله: "هل عشت الحياة المسيحية عن طريق (1) الذهاب إلى الكنيسة، (2) الصلاة، (3) قراءة الكتاب المقدس، (4) الشهادة للآخرين، (5) التكلم بالسنة، (6) تقديم العصور؟" فإن كانت هذه هي الطريقة التي عاش بها المسيحي الأول الحياة المسيحية، فيجب أن تكون هذه هي الطريقة التي يجب أن نعيش نحن بها الحياة المسيحية. ولكن إن لم تكن هذه الطريقة هي "سر" حياته اليومية، فهناك شك إذن في القائمة التي تعلمناها عن كيف نعيش الحياة المسيحية. وإن صح هذا الأمر، فهذه القائمة ليست لك أيضاً.

ها نحن قد بدأنا، وتوقع مفاجآت كبيرة، وثورة في حياتك!